THS 20

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة- تلمسان-

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

تخصص : حضارة عربية إسلامية

BU
Facultad B

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر الموسومة ب:

الحضارة السبئية في سورة سبأ

من إعداد الطالبين:

- محمد بلعربي
- يوسف زيرار

تحت إشراف الأستاذ:

- د. حسين فارسي

الأساتذة المناقشين:

- د. عبد الرحمن فارسي
- د. محمد بن عمر

السنة الجامعية: 1432-1433هـ/2011-2012م

6 31-06

TAS_200-28/01

شكر و تقدير

الحمد لله الذي رفع منار الحق ، و أوضح سبيل الهدى ، وقطع عذر الجاحدين، بما أشهدنا من صنعته الظاهرة و آياته الباهرة و أعلامه الدالة عليه و آثاره المؤدية إليه في كل ماثل للعيون من فلك دائر و كوكب سائر و جبال راسيات و بحار طاميات و رياح جاريات و فلك في البحر مسخرات بأمره و طير في الجو صافات لا يمسكهن إلا هو و شمس و قمر دائبين بحسبان لا يجتمعان ، و ليل و نهار يتعاقبان

و الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه و نصلي و نسلم على أفضل مبعوث للعالمين الرحمة المهداة و النعمة المسداة السراج المنير فصلوات ربي و سلامه عليه و على آله و أصحابه إلى يوم الدين .

نتقدم بالشكر الجزيل إلى:

الأستاذ الدكتور حسين فارسي الذي قبل الإشراف على رسالتنا هاته و أتعب نفسه في تسديد عملنا و توجيهه فحفظه الله و رعاه و جعله ذخرا و معينا للمتعلمين .

و إلى: الأستاذين الكريمين عبد الرحمان فارسي و محمد بن عمر الذين قبلا مناقشة هذه الرسالة و إبداء ما ظهر فيها من عيوب و توجيهها و إصلاحها فبارك الله فيهما و وفقهما الله لعمل الخير و خير العمل .

و إلى: كل الأساتذة في التعليم الابتدائي و المتوسط و الثانوي و أساتذتنا بجامعة تلمسان و كذا الأئمة الذين وقفوا معنا في السراء و الضراء و ناصرونا و شجعونا على المضي قدما و عدم التراجع .

و إلى: الإداريين من مديرين و مساعدين في الإدارات بالمتوسطات و الثانويات و الجامعات الذين لم يبخلوا عنا بنصائحهم و توجيهاتهم .

فبارك الله في جميع هؤلاء و وفقهم في حياتهم الخاصة و العامة

آمين يارب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

نهدي هذا العمل المتواضع إلى:

والدينا الذين حرصوا علينا صغارا و ناصرونا و أعانونا بدعواتهم و عواطفهم و أحاسيسهم كبارا.

و إلى:

الأهل جميعا من زوجات و بنين و بنات و أقارب و أصهار الصغير منهم و الكبير.

و إلى:

كل محب للعلم و موقر للعلماء و كل مجاهد بقلبه و جوارحه لتكون كلمة الله هي العليا و كلمة الذين كفروا السفلى.

مقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره الكافرون، وجعل من بعده علماء عاملين ، و أئمة مجتهدين ، و فقهاء للأحكام حافظين و محدثين للآثار عاملين ولكتاب ربهم مطبقين ولشؤون عباد الله راعين و دعاة إلى الهدى داعين ، وعن الباطل منفرين ، فهؤلاء جميعا هم حملة هذا الدين وورثة النبيين.

يا سيد الرسل طب نفسا بطائفة ... باعوا إلى الله أرواحا و أبدانا

قادوا السفينَ فما ضلوا و لا وقفوا ... و كيف لا وقد اختاروك ربَانا

أعطوا ضريبتهم للدين من دمهم ... و الناس تزعم نصر الدين مجانا

عاشوا على الحب أفواها و أفئدة ... باتوا على البؤس و النعماء إخوانا

الله يعرفهم أنصار سنته ... و الناس تعرفهم للخير أعوانا

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك و الحمد ، وهو على كل شئ قدير ، و أشهد أن محمدا عبد الله و رسوله ، بلَغ الرسالة و أدى الأمانة و نصح الأمة و كشف الله به الغمة فبصَر به العَمَى و هدى به من الضلالة و أرشد به من الغي ، فاللهم اجعلنا به من المقتدين ، و بسنته من المنتسبين و بدينه من المستمسكين و على طريقه من السائرين ، اللهم كما آمنا به و لم نره فلا تحرمنا رؤيته في الجنة ، اللهم كما اتبعنا سنته فاسقنا من حوضه شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا .اللهم اجعل عملنا هذا لك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا و انفعنا به يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

إن الباحث المنصف في تاريخ الأمم كلها و نهضات الشعوب المختلفة ، يقف اتجاه الأمة العربية الإسلامية و تطورها و رقيها في جميع نواحي الحياة و نهضتها التي دوَخت العالم موقف المتأمل

المتدبر الخاشع بما وصلت إليه هذه الأمة في حضارتها الزاهرة الباهرة الفاتنة ،و مدنيتها العامرة ، التي أظلت الإنسانية بظلالها الوارفة و سادت أرجاءها نعمة الحرية و الكرامة و العيش الرغيد و الأمن و الأمان و السلم و السلام بسبب التعاليم الرشيدة التي كانت سائدة، و السياسة الحكيمة المطبقة في واقع الناس و العناية الكبيرة بالعلوم و المعارف في مختلف المجالات و الفنون و بشتى الطرق و الوسائل.

ذلك لأن العرب هم الذين أسهموا بأموالهم و عقولهم في البحث العلم و التحصيل حتى أظهروا أسرارها و خفاياها، و ذللوا الصعب والعسير منها وأصبحت في عهودهم المزدهرة دولة قائمة للعلوم و المعارف، و من هنا وبهذا فقط كانوا زينة الدنيا و معجزة العالمين ، منهم الأساتذة الأولون في كل الفنون الذين تتلمذ عل أيديهم علماء الغرب ، و حج إلى معاهدهم طلاب الفلسفة و عشاق الحكمة، يدل على ذلك هذه الآثار الشاهدة لمآثرهم الناطقة بحضارتهم و إنجازاتهم الباهرة في مصر و الشام و الأندلس و إيران و ما وراء النهر و أفغانستان و طبرستان و غيرها من البلاد.

و دولة سبأ من الدول التي كانت لها أهمية خاصة بين الدول و التي ظهرت في جنوب الجزيرة العربية و أنجبت حضارة عظيمة خلدها القرآن الكريم و جعل سورة كاملة باسمها "سورة سبأ " و هي حضارة تقع في مدينة مأرب جنوب شرق اليمن في شبه الجزيرة العربية .

و دولة سبأ كانت دولة قوية اقتصاديا و سياسيا و عسكريا و ذات حضارة راقية يقل نظيرها غي ذلك الوقت إلا أن هذه الحضارة رغم قوتها و تطورها تعرضت للسقوط و الضعف ثم الزوال بسبب الطغيان و الكفر للنعم التي أغدقها الله على أهل سبأ و عدم شكرها.

و نحن في هذا البحث المتواضع و بعد المقدمة و المدخل الذين شرحنا من خلالهما كيف تقوم الحضارات و ما هو أساسها قسمنا العمل إلى فصلين كبيرين بحيث تناولنا في كل فصل ثلاثة مباحث :

فالفصل الأول خصصناه لمفهوم الحضارة و مقوماتها و قيمها.

حيث في المبحث الأول تطرقنا إلى مفهوم الحضارة لغة و اصطلاحا ثم في المبحث الثاني عرّجنا على مقومات الحضارة مع ذكر الشروط و المظاهر و المصادر ثم في المبحث الثالث أردنا التأكيد على القيم الحضارية و كيف أن البعد الأخلاقي ضروري في كل حضارة تقوم هنا أو هناك في أي وقت من الأوقات و في أي زمن من الأزمان

أما في الفصل الثاني فقد خصصناه لحضارة سبأ و مصادر قوتها و أسباب ضعفها حيث في المبحث الأول تناولنا التعريف بحضارة سبأ من جميع الجوانب و خاصة تاريخيا ثم في المبحث الثاني في وصف القرآن للحضارة السبئية من خلال السورة التي سميت باسمها وفي المبحث الثالث وصلنا إلى بيان كيف كان سقوط هذه الحضارة السبئية رغم قوتها مع ذكر أسباب ذلك.

ثم وصلنا إلى الخاتمة و استخلاص أهم النتائج و الفوائد التي وقفنا عليها من خلال البحث متبعين في ذلك المنهج التاريخي.

ورغم الصعوبات والعوائق و العراقيل التي تتمثل خاصة في ضيق الوقت بسبب الانشغالات المختلفة نحمد الله تعالى أولا و آخرا على توفيقه و تسديده و لولا هذا التوفيق منه سبحانه عز و جل ما كنا لنصل إلى إنجاز هذا العمل الذي يتطلب جهدا مضاعفا ، و نشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد لإتمام هذا البحث و إخراجه إلى واقع الحياة بهذه الكيفية الجميلة و نرجو من الله العلي الكريم أن يتقبله منا و يجعله خالصا لوجهه الكريم ، و أن يقينا بهذا العمل حرّ نار جهنم و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مدخل

إن الحضارات التي قامت في شبه الجزيرة العربية هي حضارات تجسيد للنشاط العقلي عند الإنسان العربي و تاريخ كل حضارة سجلٌ حافل لتطور هذا العقل و فعاليته في مختلف نواحي الحياة السياسية و الاجتماعية والحربية و العمرانية و الإدارية و الاقتصادية و دراسة هذا التاريخ و معرفة دقائقه تتناول إلى جانب كل ذلك الوسائل المختلفة التي يستعملها من أجل الإنتاج و كذا مستوى معيشته و فنونه الجميلة المتنوعة و معتقداته الدينية و سلوكاته و أساطيره و علومه و تفاعله و كفاحه المستمر من أجل البقاء و إثبات و جوده على أرض الواقع .

و ذلك يعني أن هذا التاريخ لم يعد كما عرفه المؤرخ الانجليزي **'ادوارد فريمان'** بقوله : **"إنه تاريخ السياسة الماضية "** بل إن التاريخ بمجمله أضحى بحسب النظرة التطورية الحديثة هو بالذات تاريخ الحضارة.

و الحضارة فعل نام متحرك تولد صغيرة ثم تكبر و يشتد عودها حتى تصبح في كامل عطائها و قوتها التي تبهر من حولها ثم إذا استنفذت طاقتها المخزونة الكامنة تبدأ في الانحدار و الضعف و السقوط و الهرم و الشيخوخة حتى الانقراض.

و في كل حضارة بلا شك بذرة بقاء هي الإرث الحضاري الذي تتركه وراءها و هذا الإرث مشاع كالهواء يمكن لكل أمة أن تفيد منه كما يمكن لكل حضارة نامية أن تتفاعل معه و تجعله لبنة في بنيانها .

و لعله من حسن حظ الإنسانية أن يكون الأمر كذلك لأن الحضارة المنغلقة على ذاتها لا يمكن أن تعطي الإنسانية شيئا ، فهي مبتلاة بالعقم لأن جوهرها يفتقر إلى بدرة البقاء ، و التفاعل بين الحضارات أمر لا مفر منه ، فهو مظهر من مظاهر عدوى التقاليد ، و انفتاح كل حضارة على التاريخ، و أشد ما يكون هذا التفاعل حين تكون الحضارة الناشئة في دور الاقتباس و التلقي ، فإذا ما تجاوزته إلى دور الهضم و التمثيل استحال ما أخذته إلى دم قوي نشيط يساعدها على بدأ عملية الخلق

و الإبداع هذه العملية التي تعطيها طابعها الخاص و شخصيتها المميزة ، ككائن مستقل واضح الخصائص.

و الحضارة العربية متمثلة – في بحثنا هذا- في الحضارة السبئية التي شهدتها الجزيرة العربية و بالضبط في دولة اليمن نموذج ذكره الله عز و جل و خلده القرآن الكريم حيث أبان بوضوح على أن كل حضارة لا تستسلم لسلطان الله و لا تشكر نعمته و تقابلها بالكفر و العناد و الصد و الطغيان إلا كان مآلها البوار و الخسران

و الحضارات و خاصة العربية والإسلامية منها- و بشهادة الأعداء- كانت قوية متماسكة غنية في كل المجالات عندما كانت تعتمد على الله القوي العزيز ، و هناك نماذج ذكرها القرآن كحضارة داوود و ابنه سليمان عليهما السلام التي كانت حضارة راقية قوية أساسها العدل و الخوف من الله و طلب العون منه.

و هذا المعنى يوضحه المستشرق الانجليزي **توماس كارليل** حيث يقول: "لقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور ، و أحيا به أمة خاملة لا يسمع لها صوت و لا تحس منها حركة منذ بدأ العالم فأرسل الله نبيا بكلمه من لدنه و رسالة من قبله ، فإذا الخمول نباهة و الغموض قد استحال شهرة، و الضعة رفعة ، و الضعف قوة و الشرارة حريقا وسع نوره الأنحاء و عم ضوءه الأرجاء و عقد شعاعه الشمال بالجنوب و الشرق بالغرب و ماهو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى صار لدولة العرب رجل في الهند و رجل في الأندلس و أشرقت دولة الإسلام حقبا عديدة و دهورا مديدة بنور الفضل و النبل و المروءة و النجدة و رونق الحياة و الهدى على نصف المعمورة"

و الحق ما قاله هذا المستشرق المنصف و هو أن العرب لم يبلغوا ذلك إلا بالإسلام و بتعاليمه السمحة و بأخلاقه الفاضلة التي كان بها أتباعه خير أمة أخرجت للناس تقيم للعدالة ميزانها ، و ترفع للحق مناره ، و تغرس للدنيا دولة تمتد شرقا و غربا و شمالا و جنوبا حيث لا حروب و لا قلاقل و لا

ظلم و لا تناحر و إنما هو الأمن و الأمان و السلم و السلام و التعارف و الرحمة و الحياة السعيدة المستقرة.

فإذا كانت هذه مميزات الحضارة العربية القائمة على العدل و الحق و الأخلاق الفاضلة فإن الغرب الكافر قد تنكر لمن وهبه الخير الوفير و أحياه من الموات ، لقد تنمر و استأسد و أصبح الآن يستعرض عضلاته في الشرق العربي و الإسلامي ، فإن ذلك إلى حين ، و يوم يصبح العرب قد تآلف جمعهم ، واتحدت كلمتهم في صف واحد وقوة واحدة يومئذ تذوب و تندثر دولة الغرب الظالم الآثم و تعود للعرب حضارتهم التي ستنعم بها الإنسانية كما نعمت من قبل ، و لكن و الله لن يكون لها هذا التمكين و هذا السؤدد و هذه الريادة و السيادة إلا بطلب العون من الله و التحلي بالأخلاق الحميدة الفاضلة لأنها أساس هذه الشريعة و عدادها و غايتها و غرسها ، فلا دين لمن لا خلق له ، و لا خلق لمن لا دين له

و الخلق الحسن له أثر كبير في تكوين شخصية الفرد تكوينا سليما وهو طاعة الله عز و جل ، و هو يحقق للنفس كمالها و فضائلها ، لأن الخلق الإسلامي قائم على نشدان الكمال في السلوك الإنساني كله ، و هو كذلك انسجام مع طبيعة الكون المنسجمة ، إذ أن السلوك إنما هو في حقيقته تعامل مع نواميس الكون و لا بد لكي ينجح هذا التعامل و يحقق غايته من أن يتم وفق طبيعة هذه النواميس و يسير على مقتضاها

و معنى هذا كله أن يمتثل المرء لأوامر الله عز و جل و ينتهي عما نهاه عنه ليحقق السعادة و الهناء في الدارين

و بناء الفرد على الأخلاق الفاضلة ركن ركين في دين الله و التربية الحسنة كالزراعة و الصناعة عمل يحتاج إلى جهد طويل و شاق

و إن الأمم في سائر أزمانها متى استمسكت بأخلاقها حققت الرقي و الازدهار و صدق الشاعر حين يقول:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

و الأمة الإسلامية إنما ازدهرت في الزمن الماضي بفضل الأخلاق و فتحت بلدانا عديدة بمعاملاتها الحسنة و أخلاقها السمحة ولن يستقيم حالها ، –و هي الآن – تعاني عجزا في هذا المجال، إلا إذا رجعت إلى أخلاق نبيها و توجيهات ربها حينذاك تستعيد مجدها و تحقق سعادتها و ترضي ربها فيرضى عنها.

و لنا في هذه الحضارات التي خلدها القرآن خير عبرة، حتى نتذكر و لا ننسى و نكون في اتصال دائم مع رب العزة نستمد منه العون و القوة فيحق لنا التمكين و يتحقق وعد الله فينا .

فالأخلاق سر سعادة الأفراد و المجتمعات و شرط بقاء الحضارات.

الفصل الأول

مفهوم الحضارة ومقوماتها وقيمها

الحضارة فعل نام متحرك كالكائن الحي تولد ثم تحبو طفلة طرية العود حتى إذا اشتد ساقاها وأينعت بدأ عهدها المزدهر أو شبابها المعطي وتكون في هذا الطور في إبان خصبها فإذا استنفذت طاقتها المخزونة بدأت تنحدر نحو الهرم والشيخوخة وبدأ عطاؤها يشح وينضب إلى أن تنقرض .

والحضارة تزداد اتساعا وعمقا كلما ازدادت بأصحابها بعدا عن طبيعة البداوة ومستلزماتها وإيغالا في المجتمع العمراني وتفاعلا مع آثاره ونتائجه .

فالحضارة هي ثمرات الجهد الذي يبذله الإنسان لاستغلال المكونات التي من حوله في تحقيق مقومات المجتمع الإنساني وبث أسباب الخير والسعادة فيه وسنتكلم في هذا الفصل بشيء من التفصيل عن مفهوم الحضارة لغة واصطلاحا ثم مقومات هذه الحضارة من مصادر وشروط ومظاهر ثم القيم الرفيعة التي تزينها.

المبحث الأول: مفهوم الحضارة

لقد اختلف العلماء في تحديد تعريف خاص للحضارة وجعله تعريفا جامعا مانعا لا يقبل النقاش ولا الزيادة فيه ولا النقصان منه ونحن سنبين مجمل التعاريف التي تطرق إليها علماء الحضارة .

فما هو مفهوم الحضارة لغة واصطلاحا ؟

أ ـ مفهوم الحضارة لغة: فالحضارة لفظ عربي مشتق من " ح ض ر " وحضر كنصر وعلم حضورا وحضارة: ضد غاب....والحَضَرُ محركة والحَضْرَةُ والحاضرة والحضَارةُ ويفتح: خلاف البادية. والحَضَارَة الإقامة في الحَضَر. [1]

حَضَارة بالفتح والكسر: أقام في الحضر.[2]

حَضَر: الحاء والضاد والراء: إيراد الشيء وورود ومشاهدته وقد يجيء ما يبعد عن هذا وإن كان الأصل واحدا.

فالحَضَرُ:خلاف البدو وسكون الحَضَارَة قال:

فَمَنْ تَكُنْ الحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ فَأَيُّ رجَال بَادِيَة تَرَانَا .

فالحَضارة بالفتح والكسر .[3] إن كلمة حضارة مشتقة من الحضر، ومدنية من الحياة المدنية كما أن الكلمة الأجنبية التي تقابلها CIVILISATION مشتقة من المدنية CIVILAS أساسا أو بصورة

---

[1] القاموس المحيط مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي .دار الفكر بيروت د ط 1432-2010.باب الراء :فصل الحاء ص 339-340 .

[2] المعجم الوسيط إبراهيم أنيس عبد الحليم منتصر عطية الصوالحي محمد خلف الله أحمد ط2 د ت ص202 .

[3] معجم المقاييس في اللغة أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق : شهاب الدين أبو عمرو دار الفكر (لبنان) ط1 1433ه-2011م كتاب الحاء ص: 270 .

مباشرة من ساكن المدينة CIVIS أو من CIVILIS وهو ما يتعلق بساكن المدينة وفي موسوعة القرن العشرين " الحضارة : الإقامة في الحضر أنظر مدنية " وفي مدنية : كلمة مشتقة من مدّن المدائن ،أي حضرها وبناها ونحتوا منها فعل مدّن وجعلوا معناه : تخلق بأخلاق أهل المدن وخرج من حالة البداوة ودخل في حالة الحضارة [1]

حضر: الحضور: نقيض المغيب والغيبة، حضر يحضر حضورا وحضارة....

والحضر: غلاف البدو والحاضر غلاف البادي، الحاضر: المقيم في المدن والقرى....والبادي: المقيم بالبادية. [2]

ب ـ **مفهوم الحضارة :اصطلاحا:** يعد المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي عبد الرحمان بن خلدون.[3] أول من عالج شؤون الحضارة بصورة منظمة فيما أسماه ب: علم العمران البشري و الاجتماعي الإنساني

و الحضارة عند ابن خلدون هي: طور طبيعي من أطوار المجتمع البشري مثلها في ذلك مثل البداوة و لكن البداوة أقدم – وهي أصل الحضر- و الحضارة غاية للبداوة [4]

تعريف ابن خلدون للحضارة : من مقدمته .[5]

---

1 الحضارة العربية الإسلامية. شوقي أبو خليل منشورات كلية الدعوة الإسلامية ط3 د ت دار الطبع ص 17 .

2 لسان العرب ابن منظور مادة ح ض ر: 148.

3- ولد أبو زيد عبد الرحمان بن محمد المعروف بابن خلدون في تونس سنة 1322م-734ه وتوفي في القاهرة سنة 1406م -808ه وكان ابن أسرة أندلسية دخلت الأندلس بُعَيْد الفتح واستوطنت قرمونة ثم انتقلت إلى اشبيلية هو مؤسس علم التاريخ ورائد الفكر الحديث في علم الاجتماع له كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ومقدمة ابن خلدون من تاريخ الأدب العربي في المغرب حنا الفاتوري منشورات المكتبة البوليسية بيروت لبنان ط1 د ت ص 317 -322 .

4- الحضارة العربية الإسلامية بين التأثير و التأثر الربعي بن سلامة ديوان المطبوعات الجامعية 2009 د.ط ص 07 .

5 مقدمة ابن خلدون 96-97-98.

ونلاحظ أن ابن خلدون في تعريفه للحضارة يقتصر على الجوانب المادية منها، و لا يتطرق إلى الجوانب المعنوية و الفكرية [1] .

و مفهوم كلمة حضارة يشمل جانبين أو يقوم على دعامتين إحداهما مادية وهي: المدنية و الأخرى معنوية روحية وهي: الثقافة [2] .

يبقى تعريف الحضارة تعريفا دقيقا جامعا مانعا من المهام الصعبة المنال و لذلك نجد أنفسنا مضطرين إلى تبني تعريف تقريبي يمكن أن نجمله في العبارة التالية : "حضارة أي مجتمع من المجتمعات أو أمة من الأمم هي عبارة عن مجموع مظاهر حياتها الاجتماعية ممثلة في تراثها المادي و المعنوي "[3] إن مدار الحضارة مهما تشقق أو اختلف الحديث عنها على الجهود التي يبذلها الإنسان في نطاق انتقاله من حياة البداوة و بساطتها إلى حياة العمران و تعقيداتها [4] .

و عرفها محمد سعيد رمضان البوطي[5] بقوله: الحضارة ثمرة التفاعل بين الإنسان و الكون و الحياة[6]. و هناك تعريفات أخرى منها :

إن الحضارة هي محاولات الإنسان الاستكشاف و الاختراع و التفكير و التنظيم و العمل على استغلال الطبيعة للوصول إلى مستوى حياة أفضل و هي حصيلة جهود الأمم كلها[7].

---

1 - الحضارة العربية الإسلامية بين التأثر و التأثير الربعي بن سلامة ص 08 .
2 - المرجع نفسه ص 10.
3 - المرجع نفسه ص 11.
4 - منهج الحضارة في القرآن محمد سعيد رمضان البوطي دار الفكر (دمشق) ط03 1998 ص 19
5 - محمد سعيد رمضان البوطي ولد عام 1929 في قرية (جيلكا) قرب جزيرة ابن عمر الواقعة شرقي سورية و الداخلة في حدود تركيا حاليا و هاجر والده المرحوم ملا رمضان إلى دمشق وله من العمر أربع سنوات أنهى دراسته الثانوية في معهد التوجيه الإسلامي بدمشق التحق عام 1935 بكلية الشريعة في جامعة الأزهر و حصل على الدكتوراه في أصول الشريعة الإسلامية علم 1965 له ما يقارب أربعين مؤلفا في علوم الشريعة الإسلامية و آدابها و الفلسفة و الاجتماع و مشكلات الحضارة و غيرها وترجم بعضها إل الإنجليزية و الألمانية و الفرنسية من كتاب : كبرى اليقينيات الكونية ، وجود الخالق ووظيفة المخلوق، محمد سعيد رمضان البوطي .
6 - المرجع السابق ص 19.
7 - الحضارة العربية الإسلامية شوقي أبو خليل ص 18.

الحضارة كل ما وجد أو كان موجودا من أعمال الأمة[1].

المبحث الثاني: مقومات الحضارة : الشروط و المظاهر و المصادر

تمهيد: تكمن أهمية الحضارة في أنها وعاء تراكم المعرفة و التجارب اللتين بدونهما ما استطاعت الإنسانية أن تتقدم خطوة واحدة فقيام أي حضارة تقتضي توافر مجموعة شروط و مقومات التي تشكل الأدوات الحضارية التي تمكن الإنسان أن يعملها في محيطه ، فيتحقق الانجاز الحضاري فما هي الشروط و المصادر و المظاهر التي تقوم عليها الحضارة ؟

أولا: شروط قيام أي حضارة:

للشروط عرقية لقيام الحضارة إذ يمكن أن تظهر في كل قارة فتقدم الحضارة كان نتيجة رد فعل للتحدي في الظروف الصعبة التي تدفعه إلى بذل أكثر[2] .

فإن كان التحدي يعني الإثارة فهذا مقبول

فالقحط تحد أو إثارة فكان بناء السدود

و التصحر تحد فكان تثبيت التربة

و تزايد السكان تحد فكان استصلاح الأراضي[3] .

و الحضارة مشروط قيامها بطائفة من العوامل منها ما يستحث خطاها و منها ما يعيق مسارها

و من هذه العوامل :

- **العوامل الجيولوجية:** فعصر الجليد أعاق مسارها و التربة الخصبة استحثت خطاها[4] .

---

[1] ـ الحضارة الإسلامية و عوامل الازدهار و تداعيات الانهيار محمد عادل عبد العزيز . دار غريب (القاهرة) د.ط 2000م ص 05.

2 - الحضارة العربية الإسلامية شوقي أبو خليل ص 18.

3 - المرجع نفسه ص 20.

4 - المرجع نفسه ص 20 .

- **العوامل الجغرافية :** المناخ المناسب يستحث خطاها و لكنه لا يخلق حضارة خلقا إلا أنه يستطيع أن يبتسم في وجهها و يهيئ سبيل ازدهارها و تقدمها ، و حرارة المناطق الاستوائية المرتفعة و ما يحتاج تلك المناطق من أمراض لا تهيئ للحضارة أسبابها وهي بالتالي لا تستحث خطاها [1] .
- **العوامل الاقتصادية:** تبدأ الحضارة في كوخ الفلاح و لكنها لا تزدهر إلا في المدن إن الإنسان لا يجد لحضارته فراغا و مبررا إلا إذا استقر في مكان يُفلَح تربته ، و يخزن فيه الزاد ليوم قد لا يجد فيه موردا لطعامه، في هذه الدائرة الضيقة من الطمأنينة و التي هي مورد محقق من ماء و طعام ترى الإنسان يبني لنفسه الدور و المعابد و المدارس ، و يخترع الآلات التي تعينه على الإنتاج و يستأنس الحيوان ثم يسيطر على نفسه آخر الأمر فيتعلم كيف يعمل في نظام و اطراد و كيف يزداد قدرة على نقل تراث الإنسانية من علم و أخلاق نقلا أمينا [2]
- **عامل الاستقرار:** [3] وهذا من أهم الشروط التي تساعد الإنسان و تمكنه من السيطرة على محيطه [4] .

إن العوامل الجيولوجية و الجغرافية و الاقتصادية لا تكون حضارة، إذ لا بد أن يضاف إليها العوامل النفسية، فلا بد أن يسود الناس نظام سياسي و حالة استقرار[5] .

و لذلك حصر ابن خلدون صفة الحضارة في المجتمعات المستقرة واعتبرها مناقضة للبداوة المتنقلة[6].

1 - المرجع نفسه ص 20.
2 - الحضارة العربية الإسلامية شوقي أبو خليل ص 21.
3 - الحضارة العربية الإسلامية بين التأثر و التأثير الربعي بن سلامة ص 11.
4 - المرجع نفسه ص 11.
5 - الحضارة العربية الإسلامية شوقي أبو خليل ص 21.
6 - الحضارة العربية الإسلامية بين التأثر و التأثير الربعي بن سلامة ص 11.

و ربما كان من الضروري كذلك أن يكون بين الناس بعض الاتفاق في العقائد الرئيسية و في المثل الأعلى المنشود، لأن ذلك يرفع الأخلاق من مرحلة توازن فيها بين نفع العمل و ضرره إلى مرحلة الإخلاص للعمل ذاته و هو كذلك يجعل حياة الإنسان أشرف و أخصب [1]

و يرى الأستاذ مالك بن نبي[2] أن الحضارة لا يمكن أن يقوم قائمها إلا إذا توفرت لها ثلاثة شروط أساسية لخصها في معادلته الشهيرة :[3]

حضارة =إنسان +تراب+زمن(وقت) [4]

فالإنسان هو المحرك الأول للحضارة لا يستطيع أن ينتج حضارة إلا إذا توفر له مجال مكاني و بعد زمني يمكنه من إدراك ذاته و التفاعل مع محيطه و لكن هذه العناصر الثلاثة لا تستطيع بمفردها أن تنتج حضارة لأنها عاجزة عن التفاعل فيما بينها دون تدخل عامل "الفكرة المركبة" فالفكرة المركبة هي التي تطلق شرارة التفاعل بين الإنسان و محيطه الترابي عبر الزمن و الحضارة عنده تأخذ دائما مسارا معلوما يمر بمراحل محددة أوجزها في ثلاث محطات كبرى و هي :

مرحلة الإيمان

المرحلة العقلية

المرحلة الغريزية [5]

---

1 - الحضارة العربية الإسلامية شوقي أبو خليل ص 21.

2- من مواليد عام 1905م في مدينة قسنطينة في الجزائر انتقل بعد إنهاء دراسته الثانوية إلى باريس حيث تخرج عام 1935م مهندسا كهربائيا اتجه منذ نشأته نحو تحليل الأحداث التي كانت تحيط به و قد أعطته ثقافته المنهجية قدرة على إبراز مشكاة العالم المتخلف باعتبارها قضية حضارة فقد وضع جميع كتبه تحت عنوان مشكلات الحضارة توفي بالجزائر في 31/ 10/ 1973م

3 - الحضارة العربية بين التأثر و التأثير الربعي بن سلامة ص 12.

4 - شروط النهضة مالك بن نبي .

5 - الحضارة العربية الإسلامية بين التأثر و التأثير الربعي بن سلامة ص 12 .

ثانيا: مظاهر الحضارة:

للحضارة عناصر تتألف منها،ومظاهر متعددة تظهر بها :

- **المظهر السياسي:** ويبحث في هيكل الحكم، ونوع الحكومة، ملكية أم جمهورية، دستورية أم مطلقة، و المؤسَسات الإدارية والمحلية.

و الدولة تنشأ بسبب ضرورة النظام ، و لا يعود بالإمكان الاستغناء عنها ، وتصبح الدولة وسيلة للتوفيق بين المصالح المتباينة التي تكون مجتمعا مركَبا .

- **المظهر الاقتصادي:** و يبحث في موارد الثروة و وسائل الإنتاج الزراعي و الصناعي و تبادل المنتوجات.
- **المظهر الاجتماعي:** و يبحث في تكوُن المجتمع و نظمه و حياة الأسرة، المرأة، وطبقات المجتمع... الآداب..
- **المظهر الديني:** و يبحث في المعتقدات الدينية، العبادات، وعلاقة الإنسان و نظريته إلى الكون و الحياة.
- **المظهر الفكري:** و يبحث في النتاج الفكري من فلسفة و علم و أدب...
- **المظهر الفني:** ويبحث في الفن المعماري و النحت و الرسم و الموسيقى.[1]

ثالثا:مصادر الحضارة:

لقد تنوعت الحضارات و اختلفت حيث قامت و أفلت ، و هناك بقيت إلى أن يرث الله الأرض و من عليها و إن من المصادر الحقيقية للحضارة هو القرآن الكريم ذلك لأن هذا الكتاب من عند الله عز و جل و ما أخبر عنه لا يكون إلا حقا ، و كذلك ما أخبرنا عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي

1- الحضارة العربية الإسلامية:شوقي أبو خليل.ص 24.23.

لا ينطق عن الهوى ثم تأتي الأشياء المحسوسة التي هي موجودة تدل على قيام حضارات في التاريخ الإنساني و لنبدأ بالمصدر الأول:

- **القرآن الكريم:** من فضل الله على الإنسان أنه لم يتركه في الحياة يستهدي بما أودعه الله فيه من فطرة سليمة ، تقوده إلى الخير ، و ترشده إلى البر فحسب بل بعث إليه بين فترة و أخرى رسولا يحمل من الله كتابا يدعوه إلى عبادة الله وحده ، ويبشر و ينذر ، لتقوم عليه الحجة ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لأَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء :165]

و ظلت الإنسانية في تطورها و رقيها الفكري و الوحي يعاودها بما يناسبها و يحل مشاكلها الوقتية في نطاق قوم كل رسول، حتى اكتمل نضجها ، وأراد الله لرسالة محمد_صلى الله عليه و سلم_ أن تشرق على الوجود ، فبعثه على فترة من الرسل . ليكمل صرح إخوانه الرسل السابقين بشريعته العامة الخالدة ، و كتابه المترل عليه ، و هو القرآن الكريم...{مثلي و مثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه و أجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، و يعجبون منه، و يقولون: لولا هذه اللبنة، فأنا اللبنة، و أنا خاتم النبيين} [متفق عليه]

فالقرآن رسالة الله إلى الإنسانية كافة ، و قد تواترت النصوص الدالة على ذلك في الكتاب و السنة ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ [الأعراف 158] ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً (1) ﴾ [الفرقان:1]، وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، و بعثت إلى الناس كافة في الصحيحين من حديث "أعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي...".و لن يأتي بعده رسالة أخرى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:40] .

فلا غرو من أن يأتي القرآن وافيا بجميع مطالب الحياة الإنسانية على الأسس الأولى للأديان السماوية ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى:13]

و تحدى رسول الله ــصلى الله عليه و سلم ــالعرب بالقرآن، و قد نزل بلسانهم، و هم أرباب الفصاحة و البيان ، فعجزوا على أن يأتوا بمثله :أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، فثبت له الإعجاز ، و بإعجازه ثبتت الرسالة .

و كتب الله له الحفظ و النقل المتواتر دون تحريف أو تبديل ، فمن أوصاف جبريل الذي نزل به ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين (193) ﴾ [الشعراء: 193] و من أوصافه و أوصاف المنزل عليه ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (21) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (22) وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ (23) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير:19ــ23] { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة:77-79]

و لم تكن هذه الميزة لكتاب آخر من الكتب السابقة لأنها جاءت موقوتة بزمن خاص ، و صدق الله إذ يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9) ﴾ [الحجر:9]

و تجاوزت رسالة القرآن الإنس إلى الجن ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنْ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴾ [الأحقاف:29 ــ 31] .

و القرآن بتلك الخصائص يعالج المشكلات الإنسانية في شتى مرافق الحياة ، الروحية و العقلية و البدنية و الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية علاجا حكيما،لأنه تنزيل الحكيم الحميد و يضع لكل مشكلة بلسمها الشافي ، في أسس عامة ، تترسم الإنسانية خطاها ، و تبني عليها في كل عصر ما

يلائمها ، فاكتسب بذلك صلاحيته لكل زمان و مكان ،فهو دين الخلود، و ما أروع ما قاله داعية الإسلام في القرن الرابع عشر{**الإسلام نظام شامل ، يتناول مظاهر الحياة جميعا ن فهو دولة و وطن ، أو حكومة و أمة ، وهو خلق و قوة ،أو رحمة و عدالة ، وهو ثقافة و قانون ، أو علم و قضاء ، وهو مادة وثروة، أو كسب و غنى ، وهو جهاد و دعوة ، أو جيش و فكرة كما هو عقيدة صادقة ، و عبادة صحيحة سواء بسواء**} [من رسالة التعاليم للإمام الشهيد حسن البنا] .

و الإنسانية المعذبة اليوم في ضميرها ، المضطربة في أنظمتها ، المتداعية في أخلاقها ، لا عاصم لها من الهاوية التي تتردى فيها إلا القرآن ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) ﴾ [طه123 _124]

و المسلمون هم وحدهم الذين يحملون المشعل وسط دياجير النظم و المبادئ الأخرى، فحري بهم أن ينفضوا أيديهم من كل بهرج زائف، و أن يقودوا الإنسانية الحائرة بالقرآن الكريم حتى يأخذوا بيدها إلى شاطئ السلام ، و كما كانت لهم الدولة بالقرآن في الماضي ، فإنها كذلك لن تكون لهم إلا به في الحاضر.[1]

إذن القرآن فيه نبأ ما قبلنا و حكم ما بيننا و خبر ما بعدنا وهو خير مصدر و أوثقه، ثم تأتي السنة الشريفة.

- **السنة النبوية:** اتفق العلماء على أن السنة النبوية واجبة الإتباع كالقرآن الكريم في استنباط الأحكام الشرعية و معرفة ما أُجمل من القرآن و تبيانه و تفسيره و السنة التي نقصدها هي بأنواعها: القولية، الفعلية و التقريرية و بأقسامها المختلفة من حيث السند: المتواترة و الآحاد و المشهورة.

[1] - الطبعة الأولى2011م.1432هـ-مباحث في علوم القرآن - مناع القطان .

و قد تكون دلالة السنة من الأحكام إما قطعية إذ لا تحتمل التأويل أو ظنية محتملة التأويل فهي في هذا كالقرآن الكريم.

و السنة من ناحية الاحتجاج بها في الرتبة الثانية بعد القرآن الكريم لأن القرآن الكريم قطعي الثبوت و السنة ظنية الثبوت، و القطعي مقدم على الظني و لأن السنة بيان للكتاب و البيان تابع للمبين و البيان للسنة أن تبين مجمل القرآن ، و أن تخصص عام القرآن أو تقيد مطلق القرآن أو ناسخة له أو أن تأتي بحكم جديد أو أخبار جديدة لم توجد في القرآن لأن الرسول صلى الله عليه و سلم أوتي القرآن و مثله معه، فكل ما جاء من أخبار عن الحضارات السابقة عن طريق السنة فهو مقبول مصدق به لأن الذي علم رسول الله هو الله علام الغيوب.

- **الأشياء المحسوسة و المشاهدة و الباقية من الحضارات:**

وإن من مصادر الحضارة كل ما نجده من آثار تدل دلالة على قيام حضارة من الحضارات، فالعمارات و البنايات المختلفة، و الدور و القصور، و الأنفاق و الأسلحة ، و الأشياء المحسوسة المختلفة الأشكال ، و الأنواع و الكتب و الصحف ، كلها و غيرها كثير من أشياء ثمينة تدل على وجود حضارة كانت قائمة في التاريخ كسفينة نوح التي خلدها القرآن و جثمان فرعون المستكبر و الأصوار و القلاع و....

المبحث الثالث: الحضارة و البعد الأخلاقي

تمهيد: إن المتتبع لمفهوم الحضارة في المعاجم العربية يجد أنه يعني: نقيض البداوة.وهذا بدوره يعني :أن الحضارة هي نقلة تقدمية، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى تقدّمية في الفكر و في السلوك ، وفي أسلوب التعامل مع الناس و الأشياء، وهذا كله في إطار منظومة من القيم تتعدى الإطار القبلي الضيق إلى دائرة الإنسانية الأوسع و الأرحب.

القيم الحضارية: إن من أهم أعمدة البناء الحضاري إرساء منظومة القيم التي تؤثر في حياة البشر و سلوكياتهم و تحدد شكل العلاقات الاجتماعية و أنماط التفاعل الإنساني المؤدية إلى التعاون الإيجابي و الحوار الهادف البناء [1] .

ومن ثم فإنه لا يجوز اختزال الحضارة في إرضاء الاهتمامات المادية فقط أو الروحية فقط أو العقلية فقط بل لا بد أن يكون هناك توازن بين كل هذه الاهتمامات و المتطلبات...

و لا يجوز أن يغيب عنا أن هدف الحضارة هو الإنسان، الأمر الذي يعني: التأكيد على معنى الإنسان و كرامته، و يعني في المقابل أن الحضارة –أي حضارة – تنتهي عندما تفقد في شعورها معنى الإنسانية.

و هناك ارتباط لا ينفصم بين الأخلاق و الإنسانية، فالأخلاق تذهب إلى المدى الذي تذهب إليه الإنسانية، و الإنسانية تعني توفير الاعتبار لوجود أفراد الإنسانية و سعادتهم و حيث تنتهي الإنسانية تبدأ الأخلاق الزائفة و الحضارة الزائفة

و الحضارة الحقيقية هي التي تسود فيها القيم الإنسانية و من شأنها أن تجعل روح التسامح تسري بين الناس و في مثل هذه الحضارة ينتفي التعصب الأعمى و يختفي العنف الجهول و الإرهاب الفكري بكل صوره و أشكاله [2] .

و الإسلام يهتم بكل القيم التي ترتقي بالإنسان و تهذب من أخلاقه و تسمو بعواطفه و ترقق مشاعره و تنمي إحساسه بالجمال و يضع الإسلام القيم الأخلاقية بوجه خاص في مرتبة عليا و في قمة

1- سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة 4/ موسوعة الحضارة العربية الإسلامية إشراف و تقديم محمود حمدي قزون وزير الأوقاف تقدمة نظرية الحضارة في الإسلام أحمد فؤاد باشا ص : 27 .

2 - المصدر نفسه ص 31 .

سلم القيم و يجعلها حاكمة لغيرها من القيم [1] و من هنا يقول النبي صلى الله عليه و سلم **{إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق}** .

وهذه بعض النماذج من القيم الحضارية التي تعد قيما أساسية لبناء حضارة ثابتة الأركان شامخة البنيان "والتي أكد عليها الإسلام " تؤتي أكلها تقدما ورقيا وتقدم عطاءها الحضاري للبشرية جمعاء سلاما وأمنا واستقرارا ومنها:

- **التفكير:** التفكير من أهم القيم الحضارية الذي به تتقدم أي حضارة ومن هنا فإن تقدم الآخرين وتخلف المسلمين الحضاري في القرون الأخيرة يرجع بوجه عام إلى أن الآخرين قد مارسوا التفكير أو استخدموا عقولهم جيدا بينما توقف المسلمون عن التفكير وانتشرت بينهم المقولات الخطأ مثل:" لم يترك الأول للآخر شيئا " ، " وليس في الإمكان أبدع مما كان " وراجت في أوساطهم الخرافات والأوهام فتوقفت حضارتهم وتوقف إبداعهم واكتفوا بثقافة المحفوظات وترديد ما قاله السابقون وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى توقف عطائهم الحضاري وإخلاء الميدان لغيرهم من الأمم لتحمل راية التقدم والقرآن الكريم يقول في هذا الصددّ ﴿ وسخر لكم ما في السماوات والأرض وما بينهما﴾، فهذا التسخير للسّماوات و الأرض و ما بينهما يعد حقلا واسعا ومجالا لا حدود له لكل من يستخدم عقله وفكره كما جاء في ختام الآية: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)﴾ [الجاثية، 13] .
- **العلم :** العلم من القيم الحضارية التي تقوم الحضارة في منجزاتها المادية عليه فالأخذ بالمنهج العلمي في كل الممارسات والأفعال هو المعبّر عن روح الحضارة لأمة من الأمم فالشخصية الحضارية تقدر مسؤولية العلم وتحافظ على آدابه وفي مقدمته هذه الآداب: الأمانة العلمية ولهذه الأمانة جوانب مختلفة أهمها:

1 - المصدر نفسه ص 36

- عزو العلم إلى أهله.
- الأخذ بمبدأ لا أدري .
- عدم كتمان العلم .
- عدم وضع العلم في غير موضعه الصحيح .

والإسلام هو الدين الوحيد الذي دعا إلى هذه القيمة الحضارية وإلى المحافظة على آدابه فالإسلام هو دين التفكير والنظر ودين العلم والمعرفة. [1]

- **الوقت:** يعد الوقت قيمة من القيم الحضارية الأساسية حتى إن بعضهم لخص الحضارة في= إنسان + تراب + وقت (الزمن). لهذا ينبغي على أي أمة تريد أن ترقى بحضاراتها أن تستغل الوقت فيما يفيد.

وهذا ما نبه إليه الإسلام وحض عليه في العديد من آيات القرآن الكريم فقد أقسم الله تعالى بالوقت فقال ﴿ وَ الفَجْرِ﴾ [الفجر،01]، وقال﴿وَالضُّحَى﴾ [الضحى،01] وقال﴿وَالعَصْرِ﴾ [العصر،01]، ليبين لنا مدى الأهمية البالغة لهذه القيمة في حياة الإنسان فالإسلام يعول كثيرا على ضرورة الوعي بالزمن و أهمية الاستغلال الأمثل للوقت في كل مجالات الحياة إذ بدون ذلك لا تقوم حضارة .[2]

- **العمل:** من القيم التي ترتبط ارتباطا عضويا بالوقت قيمة العمل فالوقت هو الوعاء الذي يمارس فيه الإنسان العمل و لا يمكن فصل هاتين القيمتين عن بعضهما ، فالوقت بلا عمل فراغ و العمل لا يمكن أن يتم إلا إذا كان هناك وقت لإنجازه فالوقت يشكل عنصرا أساسيا في تكوين الحضارة و المقصود بذالك هو الوقت المرتبط بالعمل الجاد المثمر و العمل لا يكون جادا أو مثمرا إلا إذا كان قائما على علم و فهم و إدراك و كما أن هناك ارتباطا وثيقا بين الوقت و العمل فإن هناك ارتباطا لا

1 - المصدر السابق: 134 -135-138.

2 - سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة ، 4 / موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ص 38.

يقل أهمية بين العلم و العمل بمعنى: أن العمل المنتج يعد تنفيذا لتخطيط علمي و تطبيقا علميا لما حصل عليه الإنسان من علم و معرفة و بذلك يكون العلم و العمل وجهين لعملة واحدة .

و الإسلام اهتم بقيمة العمل فجعله لونا من ألوان العبادة لله سبحانه و تعالى إلا أن الإسلام أكد على أمرين مهمين :

أولهما: إتقان العمل و الإخلاص فيه.

ثانيهما: استمرارية العمل حتى آخر لحظة في حياة الإنسان[1].

1 - المصدر السابق ص 38_ 39 .

الفصل الثاني

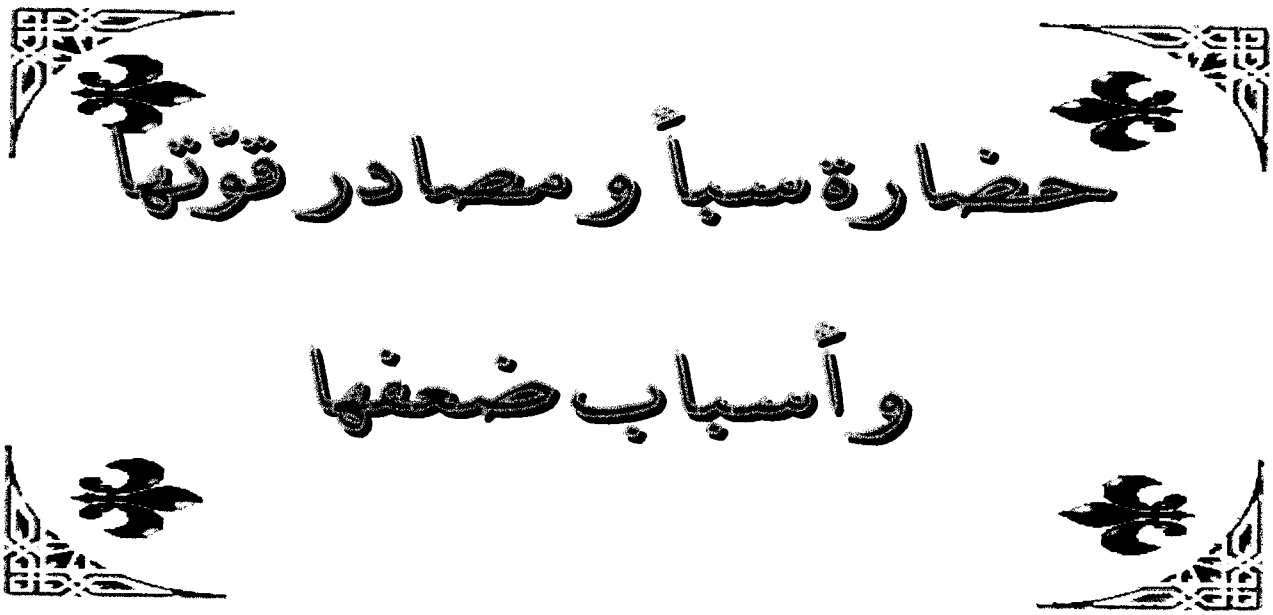

حضارة سبأ ومصادر قوتها وأسباب ضعفها

الحضارة تجسيد للنشاط العقلي عند الإنسان وتاريخ الحضارة سجل لتطور هذا العقل ومدى فعاليته في مختلف نواحي الحياة من سياسية واجتماعية واقتصادية وإدارية وحربية وعمرانية.

ودراسة هذا التاريخ تتناول إلى جانب ذلك وسائل إنتاج الإنسان ومستوى معيشته وفنونه الجميلة ومعتقداته الدينية وأساطيره وعلومه وآدابه ووسائل كفاحه المستمر مع الطبيعة من أجل البقاء .

ومن الحضارات التي خلدها القرآن حضارة سبأ التي تقع في مدينة مأرب جنوب شرق اليمن.

فما هو تعريف الحضارة السبئية تاريخيا وما هي مصادر قوتها وأسباب ضعفها وسقوطها واندثارها ؟

حظيت دولة سبأ بأهمية خاصة بين الدول التي ظهرت في جنوب الجزيرة العربية ويرجع ذلك إلى الصلة التي ربطت بين ملكة سبأ والنبي سليمان عليه السلام وورود أخبار هذه العلاقة في القرآن الكريم والتوراة ودولة سبأ كانت دولة قوية اقتصاديا سياسيا عسكريا وذات حضارة حكى لنا حضارتنا القرآن الكريم إلا أن هذه الحضارة زالت و لم يعد لها وجود إلا بعض الآثار التي تدل عليها.

فما هي أسباب سقوط وزوال الحضارة السبئية ؟

وقبل أن نجيب عن هذا السؤال لابد لنا من ذكر نبذة تاريخية نعرف فيها هذه الحضارة (أصل السبئيين ، مراحل هذه الحضارة وفي أي تاريخ حصل السيل العرم الذي أخبر عنه القرآن الكريم)

المبحث الأول: تعريف حضارة سبأ تاريخيا

أصل السبئيين:

تنتسب مملكة سبأ إلى مؤسسها عبد شمس بن يشجب الذي يرتقي بنسبه إلى قحطان، أحد أجداد العرب ، و لقب بسبأ نظرا لكثرة حروبه و غزواته، و هو أول من سبى من العرب و غلب الاسم على المملكة و الشعب.[1] وتذكر الروايات العربية :أن سبأ من قحطان ، ويسمونهم العرب المتعربة تميزا لهم عن العرب الذين كانوا قبلهم ، وتشير هذه الروايات أن والده هو: يشجب بن يعرب بن قحطان . وتذكر أن من أولاده قبائل كثيرة انتشرت في كل مكان من جزيرة العرب قبل الإسلام و بعده و نسب إليه نسله من السبئيين.[2]

اسم سبأ

ذكروا أن اسمه الحقيقي هو:عبد شمس،و أما "سبأ " فهو لقب تلقب به، و ذهبوا في سبب هذه الكنية مذاهب متعددة ،فقالوا:إنه لقب به لأنه أول من سبأ؛أي: سن السبي من ملوك العرب ، واتجه البعض الآخر إلى حالة الأساطير حوله، فقالوا: إنه بني مدينة سبأ و سد مأرب و غزا الأقطار وبني مدينة عين شمس في مصر[3].

مراحل الدولة السبئية: أمكن بفضل النقوش السبئية تقسيم عصر دولة سبأ إلى عدة مراحل، وذلك على أساس تغير لقب حكام سبأ،حيث تغير هذا اللقب عدة مرات ،وفي كل مرة كان

---

[1] ـ تاريخ العرب قبل الإسلام.محمد سهيل طقوش:295 .
[2] ـ جوانب من تاريخ و حضارة العرب أحمد أمني سليم و أبو العيون بركات:119المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام :جواد علي ج2.258.
[3] ـ المرجع نفسه الصفحة نفسها.

يتغير فيها كان يحدث تغيير في نظام الحكام ، و تدخل سبأ في عهد جديد يختلف عنوانه عن العهد السابق ، و لقد أمكن تحديد مراحل أربعة رئيسيَة مرت بها سبأ،و هذه المراحل هي:[1]

1.مرحلة المكاربة:

وهي مرحلة كان يلقب فيها حكام سبأ بلقب مكرب، أي المقرب من الآلهة أو الوسيط بين الآلهة و الناس ، و قد اتخذ المكاربة من صرواح عاصمة لهم ، ثم نقلوه إلى مأرب ، و يمتد عصر المكاربة من عام 800_650 ق.م[2] و هي أقدم المراحل[3].

2.مرحلة ملوك سبأ:

وهي المرحلة التي تلقب فيها حكام سبأ بلقب "ملك سبأ " و تمتد هذه المرحلة حتى عام 115 ق.م أو 109 ق.م.[4]

3.مرحلة ملوك سبأ و ذي ريدان:

(115-300م)[5] وقد ظهر ذلك حوالي سنة 115 أو 109 ق.م و هذا التاريخ بداية التقويم الحميري[6].

4.مرحلة ملوك سبأ و ذي ريدان و حضر موت و اليمن و أعرابها في المرتفعات وفي التهائم

و هو آخر دور من أدوار الحكم في سبأ(300م-525م).[7] و الدور الثالث و الرابع يدخل ضمن الحكم أو الفترة الحميرية.[8]

---

[1] - المرجع نفسه.ص120.
[2] - المرجع السابق الصفحة نفسها.
[3] - دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام تاريخ الدول الجنوبية في اليمن،منذر عبد الكريم البكر:215.
[4] - جوانب من تاريخ و حضارة العرب، أحمد أمين سليم و أبو العين بركات:120.
[5] - المرجع نفسه الصفحة نفسها.
[6] - دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام تاريخ الدول الجنوبية في اليمن منذر عبد الكريم البكر:215.
[7] - جوانب من تاريخ و حضارة العرب أحمد أمين سليم و أبو العين بركات : 120م.
[8] - دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام:215.

فقد تدرج بنو سبأ في الحكم من الإمارة و الكهانة إلى الملك الواسع الذي يسعى للتجارة و تجميع الثروة و بسط الهيمنة السياسية ، فأنشأوا في بداية حياتهم السياسية إمارة صغيرة ما لبثت أن أضحت مملكة تتمتع بنفوذ قوي على ما جورها من ممالك، و لا يعود ذلك إلى قوتها العسكرية بقدر ما كان لها من سيطرة تجارية و أراض زراعية حققت لها ازدهارا و ثراء. فقد سيطرت سبأ على الطريق التجاري الذي يربط الجنوب بالشمال،و أضحى لها نفوذ واسع يمتد من اليمن جنوبا إلى نجد و شمالي الحجاز،كما سيطرت على طريق التجارة العالمية الذي يربط جنوبي الجزيرة العربية ببلاد الشام و مصر، وكانت حكومة سبأ ترسل حكاما يقيمون في الواحات الشمالية التي تقع على هذا الطريق إلى جانب حاميات عسكرية ن لتضمن بقاء هذه المحطات التجارية.[1]

الوضع الاقتصادي:

إن سكان الجزيرة العربية في مرحلة الجاهلية ينقسمون إلى ثلاث فئات انطلاقا من الظروف الطبيعية و السكانية:

أ.فئة غير مستقرة تطلب العيش بالترحل و الرعي

ب. فئة مستقرة تعمل في الزراعة

ج. فئة بين الاستقرار و الترحل

و قد نتج عن هذا التقسيم نشوء ظواهر عدة أهمها الرعي و الزراعة.

الرعي:

شكل الرعي بنوعيه:الثابت، والمتنقل المورد الاقتصادي الأساس للرعاة البدو "سكان البادية" في القسم الأكبر من الجزيرة العربية وذلك بفعل تأثير الطبيعة الجغرافية وهو أحد ركائز الاقتصاد العربي.

[1] ـ تاريخ العرب قبل الإسلام ،محمد سهيل طقوش:297.296 .

فالرعي الثابت هو الذي مارسه سكان بعض القرى والواحات حيث: يخرج الرعاة صباحا بالماشية إلى المراعي القريبة ثم يعودون بها مساء إلى حظائرها وأما المتنقل فهو الذي مارسته القبائل العربية غير المستقرة في البوادي يعد مصدرا أساسيا لمعايشهم.[1]

الزراعة :

لم يقف سكان الجزيرة العربية مكتوفي الأيدي التبعية لعوامل الطبيعة بل عملوا للحد منها.

ففي الأمكنة التي تهطل فيها الأمطار بغزارة كما في اليمن بنى العربي السدود وحفر الآبار وحبس مياه السيول لاستعمالها في الري خلال أيام الجفاف وحفر الآبار في الوديان والواحات وبعض السهول الساحلية لاستثمار موارد المياه الجوفية ووسع أعمال الري الاصطناعي وجر المياه إلى الأراضي المزروعة وأقام المدرجات على سفوح الجبال في اليمن لمنع انجراف التربة واستغل أرض يثرب ذات التربة البركانية الغنية وحولها إلى واحة لزراعة النخيل والشعير .

أما في المناطق القليلة المطر أو تساقطها غير منتظم كما هو الوضع في الحجاز ونجد واليمامة فاعتمدت الزراعة على الري بصورة أساسية .

تنوعت أنظمة الري التي استخدمها العربي إلا أن أنظمة السدود والقنوات كانت أهمها.

السدود:

والسدود لم تكن على نسق واحد من حيث البناء والشكل وهي ثلاثة أنواع:

الأول : بسيط وبدائي وهو مجرد حاجز من تراب أو صخور كدست بعضها فوق بعض لحبس الماء المنخفض ومنعه من الجريان وتحويله إلى المزارع والحقول وأقيم على الأودية الصغيرة الفرعية والشعاب وتختلف أشكاله وطريقة بنائه من منطقة للأخرى .

الثاني: أقيم على شكل حرف "V" لحجز التربة والطمي المنجرف مع مياه السهول.[2]

---

[1] - المرجع نفسه :34.

[2] - المرجع السابق: 38-39-40.

الثالث : يتميز بالضخامة والصلابة والقوة ويحتاج بناؤه إلى أحجار صلبة وموارد بناء مختلفة ومتنوعة بالإضافة إلى أعداد كبيرة من العمال لذلك لا يستطيع بناءه إلى الحكومات المتمكنة ماديا ولا يتوفر ذلك إلا في اليمن .

كان الهدف من بناء هذا النوع مزدوجا رفع مستوى الماء في مجرى الوادي والتحكم به عبر قنوات إلى مسافات طويلة لري آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية من جهة وحجز الماء في أحواض كبيرة لاستخدامه في وقت الجفاف ، لسقي الماشية وري النباتات في الحقول والبساتين .[1]

سد مأرب :

أقيمت السدود في مناطق مختلفة من بلاد العرب ويعد سد مأرب من أهم السدود التي اكتسبت شهرة في تاريخ اليمن والجزيرة العربية.

بدأ السبئيون في بنائه في القرن الثامن من قبل الميلاد واتخذ شكله النهائي من خلال الترميم الذي أجري عليه في عام 300م وهو يشكل العمود الفقري لتنظيم الري الاصطناعي وتطور الزراعة الكثيفة في العربية الجنوبية وقد بني في وادي أذنه بين جبلي أبلق القبلي وأبلق الأوسط على بعد أكثر من ثلاثة أميال من مأرب وتتجمع فيه روافد عدة من ذمرار وجهران وخولان وبلاد مراد وردمان وغيرها .

وللسد فتحات عدة تفتح وتغلق لمرور المياه منها حسب الحاجة إلى الحقول والبساتين المجاورة ويبدو أن السبئيين بنوه لهدفين :

الأول : حماية مدنهم وقراهم ومزارعهم من السيول الجارفة التي كانت تشهدها المنطقة بين حين وآخر والتي كانت تزيد عن حاجة الناس والمعروف أن السيل كان ينحدر من أعالي الجبل هابطا على رأسه حتى يملك الزرع ويسوق من حملته البناء .

---

[1] - المرجع السابق 40-41.

الثاني: خزن المياه ورفعها وتوزيعها حسب الحاجة لري ما يجاور مدينتهم من الحقول والأراضي الخصبة التربة.[1]

وزرع السبئيون الأراضي المحيطة بالسد والقريبة منه فغدت جنان وغيضان عن اليمين وعن الشمال ملأى بأشجار الفاكهة والخضار المتنوعة والأزهار الملونة فعاش الناس في رخاء وسعة في الرزق وازداد العمران وازدهرت مدينة مأرب نتيجة ذلك واتخذها السبئيون عاصمة لدولتهم بدل صرواح.[2]

تاريخ حصول السيل العرم الذي أخبر عنه القرآن الكريم :

اختلف الرواة والإخباريون في تاريخ حصول هذا الحدث " السيل العرم " و الراجح أن سد مأرب بدا بالتصدع عند ظهور دولة حمير (ملوك سبأ وذوريدان) في أوائل القرن الأوّل قبل الميلاد فرممه السبئيون ، ولكنهم ظلوا حذرين من تهدمه لذلك عمروا مدينة ظفار وتراخت رغبتهم بالبقاء في مدينة مأرب وأخذوا بالنزوح وكلما تشقق السد من ناحية رمموه ففي أوائل القرن الرابع الميلادي تعرضت البلاد للأمطار غزيرة ما دفعهم إلى تدعيم السد بالردم والجسور وأصيب السد بالتصدع فأصلح ورمم ثم تصدع مرة أخرى عام (451م) فأصلح .

و نتيجة لهذه التصدعات المتلاحقة التي تعرض لها السد، لم يعد الترميم يؤدي إلى الغاية الإيجابية، فانتاب القوم الخوف و رحلوا عن مأرب إلى مواضع أخرى في الجزيرة العربية و الشام – وكان ذلك قبيل الدعوة الإسلامية – ما أدى إلى إهمال ترميم السد نهائيا ، فانهدم، و الراجح أن ذلك حصل في عام 575م و هو العام الذي انتهي فيه الاحتلال الحبشي لليمن.[3]

---

[1] ـ المرجع السابق 40-41 .
[2] ـ المرجع السابق 41 .
[3] ـ المرجع السابق 43.

قال الأصفهاني: إن السد تهدم قبل الإسلام بنحو أربعمائة سنة ، و قال ياقوت إنه هدم في نحو القرن السادس للميلاد ، و قال ابن خلدون : إنه تهدم في القرن الخامس للميلاد.[1]

القنوات:

استخدم العرب – الجنوبيون بخاصة – الرسائل الصناعية الفنية للسيطرة على المياه و التحكم بها، فأنشأوا المجاري الصناعية –القنوات– لتجري فيها بقدر و حسب الحاجة فلا تسيل و تذهب عبثا ، وهذا النظام على نوعين:

الأول: نظام القنوات السطحية،و هو عبارة عن شبكة من القنوات أو الجداول التي تُحفر على سطح الأرض لتصريف مياه السيول و الينابيع و الآبار ، و تمتد أحيانا مسافات طويلة أو قصيرة وفقا للحاجة .

الثاني: نظام القنوات الجوفية ، وهو عبارة عن أنفاق تحفر في باطن الأرض ، أو مجموعة من الآبار يتصل بعضها ببعض بواسطة نفق تحت الأرض يستعمل لجر المياه من مصادرها في باطن الأرض إلى أماكن استعمالها في القرى و المدن و الحقول .[2]

المبحث الثاني: وصف القرآن الحضارة السبئية من خلال سورة سبأ

تسميتها:

سميت سورة " سبأ " لأن الله تعالى ذكر فيها قصة سبأ و هم ملوك اليمن، في قوله تعالى﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ ﴾ [سبأ 15] ،وقد كان أهلها في نعمة و رخاء ، و سرور و هناء، وكانت مساكنهم حدائق و جنات ، فلما كفروا النعمة دمّرهم الله بالسيل العرم و جعلهم عبرة لمن يعتبر[3] .

---

[1] ـ تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي ج72:21.
[2] ـ تاريخ قبل الإسلام ، محمد سهيل طقوش 44.43.
[3] ـ صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ج3:13. التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج وهبة الزحيلي ج131.22.

مشتملاتها:

تضمنت سورة سبأ المكية محور ما تدور علية بقية السور المكية في إثبات العقيدة من توحيد الله والنبوة والبعث. فابتدأت بحمد الله تعالى والثناء عليه لأنه خالق السماوات والأرض ومرسل الملائكة رسلا بمهام عديدة إلى البشر .[1]

وتحدثت السورة عن قضية هامة هي إنكار المشركين للآخرة وتكذيبهم بالبعث بعد الموت فأمرت الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعادن بعد فناء الأجساد ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ.. ﴾ .[سبأ 03] .[2] و ذكرت اتهامهم الباطل للنبي –صلى الله عليه و سلم–بأنه مفتر أو مجنون، ثم أكدت ثبوت قدرة الله تعالى بخسف الأرض و إسقاط السماء. وتلاها تعداد النعم التي أنعم الله بها على داود و سليمان و أهل سبأ كتسخير الطير و الجبال للتسبيح مع داود و تسخير الريح لسليمان –عليه السلام–و جعل الحدائق و الثمار الطيبة لملوك اليمن أهل سبأ.[3]

ثم تحدثت السورة عن بعض شبهات المشركين حول رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين ففندتها بالحجة الدامغة والبرهان الساطع كما أقامت الأدلة والبراهين على وجود الله ووحدانيته.[4]

وختمت السورة بدعوة المشركين إلى الإيمان بالواحد القهار الذي بيده تدبير أمور الخلق أجمعين.[5]

أهداف هذه السورة :

استسلام الحضارات لله : سورة سبأ من السور التي تتناول قضية التفوق الحضاري كسورة النمل لكنها تأتي مكملة لها في المعنى فبينما ركزت سورة النمل على الأخذ بمقومات الحضارة من علم

---

[1] - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج وهبة الزحيلي ج 22 -131-132
[2] - صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ج 03.130
[3] - المرجع نفسه .الصفحة نفسها .
[4] - صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ج 13-30
[5] - صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ج 13-30.

وتفوق تكنولوجي وإدارة تأتي سورة سبأ لتسأل كل من يريد بناء أمة وحضارة: على أي شيء تقوم هذه الحضارة؟ وعلى أي أسس؟

فهدف السورة هو:حاجة الحضارة للإيمان. والسورة تتحدث عن نموذجين متناقضين للحضارة:

حضارة مؤمنة مستسلمة لله تعالى وهي حضارة داوود وسليمان عليهما السلام .

حضارة عاصية رافضة لطريق الله وهي حضارة سبأ .

ومجيء هذه السورة في ترتيب المصحف بعد سورة الأحزاب يشير إلى أن إصلاح أحزاب الداخل بالإيمان هو السبيل لبناء حضارة قوية. [1]

حضارتان في الميزان :

فالنموذج الأول والذي يتمثل بالحضارة المؤمنة هو نبي الله داوود عليه السلام الذي آتاه الله الملك قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ... ﴾ [سبأ 10] فلما استسلم لله تعالى وعبده حق عبادته طوع الله له الحديد وسخر له الكون كله بين يديه ونبي الله سليمان عليه السلام ــ الذي سخر له الريح قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ [سبأ 12]

لاحظ كلمات "أوبي "و" ألنا " و " أسلنا له " فكلها تصور كيف سخر الله تعالى الكون كله لهذه الحضارة المؤمنة . [2]

أما النموذج الثاني فهي الحضارة التي لم تستسلم لله فعوقبت وانتهت وسميت السورة باسمها لتكون عبرة لمن يعتبر.[3] قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴾. [سبأ، 15].

---

[1] ـ خواطر قرآنية ـ نظرات في أهداف سور القرآن عمرو خالد 323 .
[2] ـ خواطر قرآنية ـنظرات في أهداف سور القرآن عمرو خالد :323-324 .
[3] ـ خواطر قرآنية ـنظرات في أهداف سور القرآن عمرو خالد:324 .

الجن في السورة :

وبين هاتين الحضارتين تأتي السورة على ذكر الجن وكيف كانت حضارتهم مستسلمة إلى حضارة سليمان ــ عليه السلام ــ بشكل كامل قال تعالى : ﴿ وَمِنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ }.[سبأ 12] هذه الحضارة لم تؤت قوة ولا سلطانا ولا علما بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾.[سبأ14] فهم كانوا يعملون بجد خوفا من سليمان الذي كان يراقبهم لكنه ــ عليه السلام ــ مات وهو متكئ على كرسيه دون أن يلاحظ الجن ذلك و لم يعرفوا هذه الحقيقة إلا بعد أن أكلت حشرات الأرض من عصا سليمان....حادثة بسيطة تظهر هذه الحضارة المستسلمة لكن دون أي علم أو معرفة..[1]

سنة كونية:

وتصل بنا السورة بعد عرض المثاليين إلى تعميم القاعدة بأن تكذيب الحضارات وكفرها بالله تعالى هو سبب هلاكها : " وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما ءاتيناهم فكذبوا رسلي فكيف نكير"[2]. فبعد الحديث عن الأمم الغابرة بينت السورة أن هناك أمم كانت أقوى عشر مرات من قريش ومع ذلك فقد انتهت حضارتها لأن القاعدة العامة قد جرت عليها.

ولذلك تأتي موعظة شديدة لكل من يريد أن ينشئ حضارة أو يبني أمة قال تعالى:"قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما يصاحبكم من جنة"[3].

وصف القرآن للحضارة الصبئية من خلال سورة سبأ

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ

---

[1] خواطر قرآنية ـ نظرات في أهداف سور القرآن ، عمرو خالد : 324

[2] سورة سبأ: 46

[3] خواطر قرآنية نظرات في أهداف سور عمرو خالد : 325

(17) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ (18) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِنْ الْمُؤْمِنِينَ (20) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ .[سبأ:15..21]

أشار القرآن الكريم بشكل واضح إلى غنى سبأ و شعبها الذين عبدوا الله و عظموه و شكروه ، فأثابهم بجنتين عن يمين سد مأرب و شماله ، فيهما من كل الثمرات رزقا حلالا طيبا ،وقرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ [سبأ 15] [1] و هذه الجنان عن اليمين و الشمال رمز لذلك الخصب و الوفرة و الرخاء و المتاع الجميل و من ثم كانت آية تذكر بالمنعم الوهاب[2]

جر خبر سليمان –عليه السلام- إلى ذكر سبأ لما بين ملك سليمان و بين مملكة سبأ من الاتصال بسبب قصة بلقيس و لأن في حال أهل سبأ مضادة للأحوال داوود و سليمان عليهما السلام إذ كان هذان مثلا في إسباغ النعمة على الشاكرين و كان أولئك مثلا في سلب النعمة عن الكافرين [3]

و غدت سبأ مثلا في العالمين و مكث أهلها على ذلك قرونا و سنين في قوة و منعة فدانت لهم البلاد و أطاعهم العباد ثم أمروا بأن يستمتعوا برزق الله شاكرين [4] قال تعالى: ﴿.. كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ [سبأ ، 15]

فأمرهم الله بشكر نعمه التي أدرها عليهم من وجوه كثيرة :

منها : هاتان الجنتان اللتان غالب أقواتهم منها . و منها: أن الله جعل بلدهم بلدة طيبة لحسن هوائها و قلة وخمها و حصول الرزق و الرغد فيها. و منها: أن الله تعالى وعدهم إن شكروه أن يغفر لهم و يرحمهم و لذا قال: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ ، 15] .

---

[1] ـ تاريخ العرب قبل الإسلام ، محمد سهيل طقوش ص 41.
[2] ـ في ظلال القرآن سيد قطب م 05 ص 2900
[3] ـ تفسير التحرير و التنوير محمد الطاهر بن عاشور ج 22 ص 165 .
[4] ـ في ظلال القرآن سيد قطب م 05 ص 2900 .

و منها أن الله لما علم احتياجهم في تجارتهم و مكاسبهم إلى الأرض المباركة الظاهر أنها قرى صنعاء كما قاله غير واحد من السلف و قيل إنها الشام هيأ لهم من الأسباب ما به تيسر وصولهم إليها بغاية السهولة من الأمن و عدم الخوف و تواصل القرى بينهم و بينها بحيث لا يكون عليهم مشقة بحمل الزاد و المزاد و لهذا قال : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ﴾ [سبأ،18][1] .

وذكروا بالنعمة: نعمة البلد الطيب وفوقها نعمة الغفران على القصور من الشكر والتجاوز عن السيئات قال تعالى: ﴿....بلدة طيبة ورب غفور ﴾ [سبأ، 15]

بلدة طيبة لكثرة أشجارها وطيب ثمارها واعتدال هوائها وصحة مناخها والله النعم عليكم بهذه المنعم رب غفور لذنوبكم إن استمررتم على التوحيد والطاعة .[2]

فالله سبحانه وتعالى أرسل إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزق ربهم ويشكروه بتوحيده وعبادته كفاء ما أنعم عليهم بهذه المنن وأحسن إليهم بتلك النعم فكانوا كذلك إلى حين ثم أعرضوا عما أمروا به 3، فكفروا بأنعم الله عليهم وعدلوا عن توحيد الله وعبادته وشكره إلى عبادة الشمس من دون الله كما قال الهدهد لسليمان عليه السلام : ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾.[النمل ، 22-24][4] .

فسلبهم الله هذا الرخاء الجميل الذي يعيشون فيه وأرسل عليهم السيل الجارف الذي يحمل العرم في طريقه لشدة تدفقه فحطم السد وانساحت المياه فغطت وانحرفت ثم لم يعد الماء يخزن بعد ذلك فجفت واحترقت وتبدلت الجنتان بصحراء تتناثر فيها الأشجار البرية الخشنة قال سبحانه: ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ .[سبأ 16] [5]

---

[1] ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثان عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص 694- 695 .
[2] ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج وهبة الزحيلي ج 22 :165 .
[3] ـ تفسير المراغي أحمد مصطفى المراغي ج 70:22-70-27 .
[4] ـ تفسير القرآن العظيم ابن الكثير ج3:584 .
[5] ـ في ظلال القرآن سيد قطب م5 -2201 .

والإعراض يقتضي سبق دعوة رسول أو نبيّ والمعنى: أعرضوا عن الاستجابة لدعوة التوحيد بالعودة إلى عبادة الشمس بعد أن اقلعوا في زمن سليمان وبلقيس.[1]

وقيل: بعث الله تعالى إليهم ثلاثة عشر نبيا وقيل: أرسل الله عز وجل إليهم اثني عشر ألف نبي.[2]

وسبب هذا العقاب: كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل ولهذا قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴾.[سبأ 24][3]

أي : إن ذلك التبديل من الثمار النضيجة والمناظر الحسنة والظلال الوارفة والأنهار الجارية إلى أشجار ذات أشواك وثمار مُرة كان بسبب كفرهم وشركهم بالله و تكذيبهم الحقّ و عدولهم عنه إلى الباطل، لقد عاقبناهم بكفرهم و لا يعاقب الله إلا المبالغ في كفران النعم والكفر بالرسل .[4]

وبعد تعداد نعم الله على السبئيين في مساكنهم ، ذكر تعالى باقة أخرى من النعم أثناء تنقلهم في البلاد ومتاجرهم مع بلاد الشام ، فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً ﴾ [سبأ18] أي: وجعلنا بين قراهم وقرى الشام التي باركنا فيها بالمياه والأشجار والخيرات الكثيرة قرى مرتفعة معروفة متواصلة متقارب بعضها من بعض مع كثرة أشجارها و زروعها وثمارها بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل ماء ولا زاد بل حيث نزل وجد ماء وثمرا وهي قرى ظاهرة أي : بيّنة واضحة يعرفها المسافرون لبنائها على هضاب عالية .[5]

قال تعالى: ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ﴾.[سبأ 18] أي جعلناها محطات متعاقبة ذات مقادير متناسبة[6]؛ بحيث يقبل الغادي في قرية ويبيت الرائح في أخرى إلى أن يصل إلى الشام وهو لا يحمل معه زادا ولا الماء.[7]

---

[1] ـ تفسير التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور ج22 :168 .
[2] ـ تفسير القرآن العظيم ابن كثيرج3 584 .
[3] ـ تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج3: 584 .
[4] ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج وهبة الزحيلي ج 22 : 166 وبعد .
[5] ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والنهج وهبة الزحيلي ج 22: 166 -167 .
[6] ـ التفسير المنير في العقيدة ...، وهبة الزحيلي ج 22:167 .
[7] ـ تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ج 22: 73: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .

قال تعالى: ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾ [سبأ 18] أي: وقيل لهم بلسان المقال أو الحال: سيروا في تلك القرى ليالي وأياما آمنين مما تخافون في السير ليلا ونهارا لا تخشون جوعا ولا عطشا ولا عدوا يهددكم.[1]

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى أنهم بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم[2] ، مع أنهم كانوا في عيش رغيد في من وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة ولهذا قال لهم : ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة] وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها يتزودوا الأزواد[3] ، فأجاب الله طلبهم وعاقبهم على بطرهم بالنعمة وهذا البطر من ظلم النفس قال تعالى: ﴿ وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ [سورة سبأ19] إذ قد عرضوها للسخط والعذاب بغمط النعمة وعدم الوفاء بشكرها .

ثم ذكر عاقبة أمرهم فقال: ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ [سورة سبا 19] : أي جعلناهم عبرة لمن يعتبر وأحاديث للناس يستمرون به في مجالسهم وفرقنا شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء وفرقناهم في البلاد كل تفريق فصارت العرب تضرب بهم المثل فتقول:" تفرق القوم أيدي سبا وأيادي سبأ " أي : مذاهب سبأ وطرقها .

" وتفرقوا شذر مذر " فشُردوا ومزقوا وتفرقوا في أنحاء الجزيرة العربية والشام .[4]

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سورة سبأ 19] أي إن في هذا الذي حل بهؤلاء من النقمة والعذاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبوه من الكفر والآثام لعبرة ودلالة لكل عبد صبار على المصائب شكور على النعم .[5]

---

[1] ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج وهبة الزحيلي ج22- 167 .
[2] ـ الكشاف...جار الله الزمخشري ج 3-286 .
[3] ـ الكشاف جار الله الزمخشري ج 3 -286 .
[4] ـ تفسير المراغي أحمد مصطفى المراغي ج22-74 التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج وهبة الزحيلي ج 22-167-168 تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج3 585 يا ظلال القرآن سيد قطب م5 1990-1991 .
[5] ـ تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج3- 587 .

ويعد بيان قصة سبأ وما كان من أمرهم في إتباع الهوى والشيطان أخبر تعالى بأنهم وأمثالهم هم ممن اتبع إبليس والهوى وخالفوا الرشاد والهدى فقال : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة سبأ 20] أي : ظن إبليس بهؤلاء السبئيين أنه إذا أغواهم اتبعوه فكان كما كان ظن بوسوسته فانقادوا لإغوائه وعصوا ربهم وعبدوا الشمس من دون الله إلا فريقا مؤمنا منهم قاوموا وسوسة الشيطان وعصوا أمره وثبتوا على طاعة الله تعالى .[1]

ثم ذكر أنه ابتلاهم ليظهر حال المؤمنين من حال المشركين في الآخرة فقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ 21] أي لم يكن لإبليس على هؤلاء القوم من حجة و برهان لإضلالهم و لم يقهرهم على الكفر و إنما كان منه الوسوسة و التزيين ، و لكن ابتليناهم بوسوسته و سلطانه عليهم لنعلم علم ظهور - و إلا فالله بكل شيء عليم – أمر من يؤمن بالآخرة و قيامها ، و الحساب فيها و الجزاء بالثواب و العقاب ممن هو منها في شك فلا يؤمن بحدوثها ، ولا بما اشتملت عليه من ثواب و عقاب .و ربك أيها الرسول محافظ و رقيب على كل شيء و منه أعمال هؤلاء الكفار،و سيجازيهم عليها يوم الآخرة.[2]

المبحث الثالث: أسباب سقوط الحضارة السبئية

لقد كانت سبأ ملوك اليمن و أهلها و كانت التبابعة منهم ، و بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام من جملتهم ، و كانوا في نعمة و غبطة في بلادهم و عيشهم واتساع أرزاقهم وثمارهم و بعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه و يشكروه بتوحيده و عبادته فكانوا كذالك ما شاء الله ، و كونوا حضارة عظيمة كان لها شأن عظيم و لكن شاء الله سبحانه و تعالى أن تندثر هذه الحضارة و تحطَم و يأتيها أمره من كل جهة لأسباب عديدة ، فما هي هذه الأسباب التي أدت إلى سقوط أعظم حضارة خلدها الله في كتابه العزيز ؟ .

---

[1] ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج وهبة الزحيلي ج22 168-169.

[2] ـ تفسير المراغي احمد مصطفى المراغي ج 22:75.76.التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج.وهبة الزحيلي ج 22:169 .

الجهل بالله عز و جل:

لقد كان لقبيلة سبأ باليمن بساتين خضراء و مناظر رائعة حسناء ، و خيرات وفيرة عن يمين واديهم التي يسكنون فيها و عن شمالهم في مأرب ، و تلك علامة دالة على قدرة الله تعالى و جبروته و أنه هو الذي خلقهم من عدم و خلق لهم كل ما يتنعّمون به، و أن كل الخلائق لو اجتمعوا على أن يخرجوا من الخشبة ثمرة ، لم يمكنهم ذلك ولن يستطيعوا،ولم يهتدوا إلى اختلاف أجناس الثمار وألوانها و طعومها وروائحها وأزهارها، وفي ذلك ما يدل على أنها لا تكون إلا من عالم قادر لا شريك له في ملكه.و الجهل و عدم العلم يفقد القوة و يحطم الكيان بأكمله، فلا تفوق ولا حضارة مع الجهل بل لا بد من العلم و العلوم ثلاثة:علم بالله عز و جل ثم علم بدين الله ،ثم علم بخلق الله و اجتماع هذه الأنواع الثلاثة من العلم في أمة من الأمم يحقق لها سعادة شاملة في الدارين وسيادة كاملة في عالمي المادة و الروح و بالعلم و عدم الجهل يتواصل التفوق و تستمر الحضارة بحيث لا يقف النجاح عند جيل معين بل يتعداه إلى وجود أجيال ترث النجاح و تحافظ عليه لضمان استمرار التفوق و تراكم الخيرات في الأمة .

جحود النعمة و كفر المنعم:

لقد كان جديرا بأهل سبأ أن يشكروا نعم الله وما رزقهم بالطاعة، فضلا عن أن الرسل قالت لهم ذلك،فهذه هي مأرب بلدة طيبة أي كثيرة الثمار، معتدلة المناخ ، لطيفة الهواء، بعيدة عن المؤذيات، و المنعم الوحيد بهذه النعم عليهم رب غفور يستر ذنوبهم فجمع الله لهم بين مغفرة ذنوبهم و طيب بلدهم، و لم يجمع ذلك لجميع خلقه.

الإعراض عن أمر الله وتكذيب رسله:

لقد خيبوا ما يظن بهم فأعرضوا عن أمر الله وإتباع رسله بعد أن كانوا مسلمين فأرسل عليهم سيل العرم أي نقض سد مأرب فتدفقت المياه المدرارة الغزيرة فغرقت بساتينهم ودفنت بيوتهم فيبست الأشجار المثمرة ونبت مكانها أشجار مرة لا خير فيها من الخمط أي الآراك والأثل وهو كما قال الفراء : " شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه طولا والسدر هو نوعان : نوع له ثمر عفص لا يؤكل وهو الذي يسمى الضال ونوع ينبت على الماء وثمره النبق وورقه يشبه شجر العناب .

قال قتادة : بينما شجر القوم من خير شجر إذ صيره الله تعالى من شر الشجر بأعمالهم فأهلك أشجارهم المثمرة وأنبت بدلها الآراك والطرفاء والسدر وهذا التبديل من النعمة إلى النقمة جزاء كفرهم ولا يعاقب بهذا إلا المبالغ في كفران النعمة والكفر بالله تعالى .

الطغيان والظلم وإتباع الهوى والشهوات:

ومن النعم على أهل سبا جعل طرقاتهم وممراتهم التجارية بين اليمن والشام مأهولة لا تحتاج إلى حمل ماء وزاد فقد جعل محطات يستريحون فيها بالقيلولة والمبيت هي القرى الكثيرة على طول الطريق إلى الشام ، قيل أنها كانت أربعة آلاف وسبع مئة قرية بورك فيها بالشجر والثمر والماء والمسافات بين تلك القرى منتظمة إذ جعل بين كل قريتين نصف يوم حتى يكون المقبل في قرية والمبيت في قرية أخرى كما أن تلك الطرقات كانت آمنة غير مخوفة ليلا ونهارا ولا يحتاجون إلى طول السفر لوجود ما يحتاجون إليه قال قتادة: " كانوا يسيرون غير خائفين ولا جياع ولا ظماء وكانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقي الرجل قاتل أبيه لا يحركه فلم يشكروا النعمة بل طلبوا التعب والكد" .[1]

إذن بسبب كبرهم وطغيانهم وجحودهم وأنانيتهم المفرطة تمنوا زوال هذه النعم فبطروها وسئموا الراحة ولم يصبروا على العافية وتمنوا عكس ذلك تماما فتمنوا طول الأسفار والكدح في المعيشة فكانت النتيجة الحتمية أن تبددوا في الدنيا وتفرقوا في البلاد كل تفرق وجعل بينهم وبين الشام فلوات ومفاوز يركبون فيها الرواجل ويتزودون الأزواد وظلموا أنفسهم بكفرهم وأصبحوا مدار القصص والتحدث بأخبارهم وعبرة للمعتبرين .

عبودية الشمس من دون الله وجحود وجود الله تعالى :

وذلك لأنهم اتبعوا أهواءهم وتركوا أوامر الله وراء ظهورهم ونبذوها وبدلوها فبدل الله عليهم نعمه بالنقم وجعلهم من الخاسرين في الابتلاء والامتحان فكانوا أسفل سافلين في أدنى الدركات إلا فريقا من المؤمنين صدقوا وآمنوا وصبروا فنالوا الجزاء الحسن من رب العالمين .

---

[1] ـ التفسير المنير وهبة الزحيلي ج 21-22 ص 170.

الكبر والعناد وعدم الاستسلام لأمر الله:

لما كثرت عليهم نعم الله عز وجل فجحدوا بها و لم يشكروه عليها بل قابلوها بالكفر والعناد والتكبر على أوامر الله تعالى وعدم الاستسلام والخضوع وأرادوا إخضاع الأوامر إلى نزواتهم وشهواتهم وأهوائهم فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وهذا جزاء المتكبرين.

كما قال الشاعر:

يا مدعي الكبر إعجابا بصورته أنظر خلاك فإن النتن تثريب.

لو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكبر شبان ولا شيب.

يا ابن التراب ومأكول التراب غدا أقصر فإنك مأكول ومشروب. [1]

فكيف يتكبرون على الله والكبرياء لله لا يمكن أن ينازعه فيه أحد؟.

تصديق إبليس اللعين وتكذيب الله و الإشراك به :

إن إعراض أهل سبأ عن طاعة الرسل وإتباعهم لأهوائهم على حساب شرع الله وتكذيبهم لله بعدم رضاهم بما أعطاهم من النعم هو تصديق لإبليس الذي كان يتربص بهم الدّوائر وهكذا كان توقعه الذي سول له ظنه فيهم شيئا ، فصدق ظنه أنه يغويهم فأغواهم واتبعوه إلا قوما منهم أطاعوا الله تعالى وآمنوا برسلهم وأمنوا من بطش الله وغضبه .

لما كفروا بنعم الله تعالى سلط الله عليهم إبليس كما سلط الذباب على العيون القذرة والأوبئة على من أهمل النظافة فتكون الفريسة من لا قدرة له على المقاومة وينجو الأقوياء الأصحاء المجاهدون.

وهو تسليط قصد به الابتلاء والاختبار وإظهار الواقع مع أن الله عليم بكل شيء فتكون النتيجة ظهور أمر المؤمن بالله وبالآخرة وتميزه عن الشاك بوجود الله تعالى وبالقيامة .

---

[1] - الصراع بين النفس والمال عبد الحميد كشك ط1 المكتب المصري الحديث ص 26 .

خاتمة

وبعد هذه الجولة مع الحضارة بصفة عامة وحضارة سبأ على الخصوص التي خلدها القرآن الكريم نقول و بالله التوفيق إن القرآن لم يزد على أن وضع أمام الناس أقوم منهج يمكن أن يلمسه الإنسان و يعثر عليه ،إلى إقامة أمتن بنيان حضاري يحقق للمجتمع الإنساني أصدق معاني الخير و السعادة الشاملة في الدارين ــ الدنيا و الآخرة ــ أي فهو لم يحتكر لنفسه السبيل إلى إقامة حضارة ما، فما أكثر الحضارات التي سادت على وجه الأرض ، قبل أن يأتينا القرآن بمنهجه الأمثل إلى الحضارة المُثلى و مع أننا على يقين بأن ما جاءت به الكتب السماوية السابقة مع تعليمات الرسل و الأنبياء الذين خلو من قبل ،قد لفت أنظار الناس بشكل أو بآخر إلى هذا المنهج القرآني ذاته ، و نَبههم إلى حقيقة كل من الكون و الإنسان و الحياة ، فإن كثيرا من الحضارات سادت خلال تلك العصور بمنأى عن التعاليم الدينية و لكن المؤكد في هذا الصدد كما بينا في الفصلين ــ الأول و الثاني ــ أن كل حضارة تنهض بعيدا عن المثل و الأخلاق و القيم الرفيعة و التبصرة القرآنية تحمل في داخلها بذور ضعفها و أسباب دمارها، وهذا ما نشاهده و نتأكد منه في واقعنا و ما يتجسد في الحضارة الغربية ، فمهما وصفناها بالتألق و الازدهار فإن ذلك لا يصدق عليها إلا من حيث الطلاء الخارجي لها فحسب، و ما يفتتن الناس منها إلا بهذا الطلاء و لكن في حقيقة الأمر من ورائها مآسي و أزمات لا حد لها و لا حصر في الأسر الأوروبية و الأمريكية التي تمزقت داخليا و فرغت من محتواها فعلينا ألا نقلدهم في كل شيء و أن نعتز بحضارتنا و نأخذ بأسباب التفوق ماديا و معنويا و حتى نرضي ربنا و يتحقق لنا التمكين الذي وعد به رب العزة عباده الصالحين ، و أهم النتائج التي وقفنا عليها في بحثنا هذا ما يلي :

- ✓ سوق هذه القصة تعريض بأشباه سبأ .
- ✓ هذه القصة أمة بأمة وبلاد بأخرى وذلك من قياس وعبرة .
- ✓ هذه القصة تبين لنا فائدة تدوين التاريخ وتقلبات الأمم.

- ✓ هذه القصة فيها موعظة للمشركين إذ كانوا في بحبوحة من النعمة فلما جاءهم رسول من المنعم عليهم يذكرهم بربهم ويوقظهم بأنهم خاطئون إذ عبدوا غيره كذبوه وأعرضوا عن النظر في دلالة تلك النعمة على المنعم المتفرد بالإلهية. [1]
- ✓ إن الحضارات تبقى وتستمر بالاستسلام والخضوع لله خالق كل شيء.
- ✓ الإعراض يسبب عقابا من جنس العمل .
- ✓ الظلم أنواع كثيرة أشده الكفر بنعم الله وإشراك غيره معه في ملكه.
- ✓ الإيمان بالمحسوسات دليل إلى الإيمان بالمعقولات والإخبارات .
- ✓ نعم الله على العباد تورثهم الحياء والخجل منه والخوف من بطشه.
- ✓ الإيمان بكل ما جاء في القرآن من أخبار الأمم السابقة والتأكد من أنه كانت لهم حضارات عظيمة.
- ✓ الاعتبار والاتعاظ بطريقة المقارنة بين شيئين متناقضين حضارة داود وسليمان تمثل حضارة راقية قائمة على الإيمان والتسليم لأوامر الله وحضارة أهل سبأ التي تمثل حضارة فاشلة غير دائمة بسبب الكفر واللعنة .
- ✓ صدق نبأ محمد صلى الله عليه وسلم لإخباره عن القصص من غير مطالعة كتب ولا مدارسة مع معلم ولا تلمذة لأحد وهي معجزة عظيمة تدل على النبوة.
- ✓ الجهل بالله وعدم معرفته حق المعرفة طريق إلى الشرك والضلال.
- ✓ عاقبة المؤمن بالله الخروج من الدنيا مع الثناء الجميل فيها والثواب الجزيل في الآخرة وعاقبة الكافر الخروج من الدنيا مع اللعن فيها والعقاب في الآخرة.
- ✓ كما أهلك الله قوم سبأ يفعل بأشباههم من الظلمة في كل زمان ومكان وهي في حال الظلم الشديد والعناد الكبير.

---

[1] - تفسير التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور ج 22- 165 .

- ✓ الرجوع إلى الله والإنابة إليه والاستسلام لأمره طريق النجاة من عقاب الله وبطشه وغضبه.
- ✓ الفائدة الكبرى من القصص القرآني العظة والاعتبار وعدم التكبر على الله والاستسلام لأمره .
- ✓ لم يكن عقاب تلك الأمم الظالمة إلا بما بدر منهم من ظلم وهو الكفر والعصيان والطغيان وعقابهم عدل من الله وحكمة.
- ✓ كل من أقدم على ظلم كيفما كان نوعه يجب عليه أن يتداركه بالتوبة و الإنابة لئلا يقع في الأخذ الذي وصفه الله تعالى بأنه أليم شديد . ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود 102]
- ✓ إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين دليل واضح على صدق وعد الله في الآخرة .
- ✓ عذاب الدنيا نموذج فقط من النماذج الكثيرة من العذاب في الآخرة.
- ✓ وجوب الإيمان بالله وبالرسل وعبادة الله وحده .
- ✓ شكر الله على نعمه وآلائه التي لا تعد ولا تحصى .
- ✓ عذاب الله لاحق بكل من كفر بالله وعصاه وجحد نعمة الله عليه.
- ✓ إن أشد الظلم وأعظمه ظلم الكفر والمعصية في حق الله تعالى.
- ✓ العذاب والعقاب من جنس العمل لأن أهل هذه القرية لما بطروا بالنعمة وبدلوا بنقيضها وهو محقها وسلبها ووقعوا في شدة الجوع بعد الشبع وفي الخوف والهلع بعد الأمن والاطمئنان وفي انعدام موارد العيش بعد الكفاية.
- ✓ تحقيق العبودية المطلقة لله عز و جل و تحقيق العزة و عدم الذل و المهانة .

نسأل الله عز و جل أن يوفقنا لما يحبه و يرضاه آمين و أن يجعلنا من عباده العالمين العاملين و أن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر .آمـــــــــــــــــــــــين

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

1 - أسس مفهوم الحضارة في الإسلام: سليمان الخطيب - ديوان المطبوعات الجامعية. الساحة المركزية بن عكنون _ الجزائر _ 09/09.

2 - بين الإرشاد و التيه: مالك بن نبي دار الفكر دمشق - سوريا - .

3 - تاريخ العرب قبل الإسلام: عبد عون الرضوان.

4 - التربية و الحضارة: محمد بغداد باي بحث مفهوم التربية و طبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي. الطبعة الثانية 2007. مؤسسة عالم الأفكار للنشر و التوزيع المحمدية - الجزائر.

5 - جوانب من تاريخ و حضارة العرب في العصور القديمة: أحمد أمين سليم 2002.

6 - الحضارة .ع.إ: احمد بدر ط 3 منشورات جامعة دمشق. 1415-1416 /1995-1996.

7 - حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة: مصطفى الرافعي . دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر ط2 1968.

8 - الحضارة العربية الإسلامية. :أحمد بدر مطبعة جامعة دمشق ط3 1415هـ/1995

9 - دراسات تاريخية من القرآن الكريم :بتومي مهلان 1988.

10 - دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدول الجنوبية في اليمن: منذر عبد الكريم البكر.

11 - الصراع الحضاري في العالم الإسلامي :عكاشة شريف 1431-2010 مؤسسة ابن مرابط.

12 - صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي :عبد اللطيف عبادة ط1 1404هـ/1984م دار الشهاب للطباعة و النشر _ باتنة _ الجزائر.

13 – في الحركة التاريخية و تفسير التطور الحضاري عند مالك بن نبي : الأخضر شريط تفرع عبد الكريم غريب – منشورات عالم التربية .

14 – القاموس المحيط : الفيروز أبادي .

15 – لسان العرب: ابن منظور .

16 – لوحات مضيئة في الحضارة العربية الإسلامية: شوقي أبو خليل و نزار أباضة ط12004 .ط2 1429هـ/2008م – دار الفكر دمشق – سوريا – .

17 – ماذا قدم المسلمون للعالم: راغب السرجاني (إسهامات المسلمين في الحضارة الإسلامية) ج1 ط5

18 – مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة .

19 – مباحث في علوم القرآن: مناع القطان الطبعة الأولى 1432هـ/2011م .

20 – محاضرات في النظم الإسلامية و الحضارة العربية: ضيف الله محمد الأخضر ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر – طبعة 1985 .

21 – مدخل إلى الحضارة الإسلامية: عماد الدين خليل الطبعة الأولى 142هـ/2005م المركز الثقافي العربي الدار العربية للعلوم .

22 – المسار في عالم الإقتصاد : مالك بن نبي دهر الفكر دمشق – سوريا – .

23 – مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي : مالك بن نبي دار الفكر المعاصر دمشق . سوريا – بيروت – لبنان .

24 – معجم مقاييس اللغة: ابن فارس .

25 – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : علي جواد الجزء 2 عام 1980 .

26 – منهج الحضارة الإسلامية في القرآن الكريم : محمد سعيد رمضان البوطي دار الفكر دمشق سوريا . دار الفكر المعاصر – بيروت لبنان ط1 1981 ط3 1998 .

27 – موسوعة القبائل العربية – بحوث ميدانية و تاريخية –: محمد سليمان الطيب دار الفكر العربي م2 .

28 – موسوعة القبائل العربية: محمد الطيب سليمان بحوث ميدانية و تاريخية مجلد 2 دار الفكر العربي – القاهرة 1421هـ/2001م .

29 – موسوعة تاريخ العرب . تاريخ/ممالك/ دول/حضارة: عبد عون الرضوان – طبعة الأهلية م1 .

30 – موسوعة تاريخ العرب /تاريخ / مماليك / دول / حضارة:عبد عون الرضوان مجلد 1 ط2 2007 طبعة الأهلية عمان.

31 – تفسير القرآن الكريم: إسماعيل بن كثير الدمشقي ج5 دار الأندلس للطباعة و النشر والتوزيع د ط، د ت

32 – خواطر قرآنية ،نظرات في أهداف سور القرآن:عمرو خالد الدار العربية للعلوم ط1 1425هـ/2004م .

33 – التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج:د وهبة الزحيلي دار الفكر المعاصر بيروت – لبنان دار الفكر دمشق – سوريا . ط1411هـ/1991م .

34 – مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمان بن خلدون دار الكتب العلمية بيروت – لبنان د ط، د ت .

الفهرس

الفهرس

شكر و تقدير

إهداء

مقدمة ..... أ

مدخل 2

الفصل الأول: مفهوم الحضارة و مقوماتها

المبحث الأول: مفهوم الحضارة 08

مفهوم الحضارة لغة: 08

مفهوم الحضارة :اصطلاحا: 09

المبحث الثاني: مقومات الحضارة : الشروط و المظاهر و المصادر 11

أولا: شروط قيام أي حضارة: 11

ثانيا: مظاهر الحضارة: 14

ثالثا: مصادر الحضارة: 14

المبحث الثالث : الحضارة و البعد الأخلاقي 18

القيم الحضارية 19

الفصل الثاني: حضارة سبأ و مصادر قوتها و أسباب ضعفها

المبحث الأول: تعريف حضارة سبأ تاريخيا 25

الفهرس

أصل السبئيين: 25

اسم سبأ 25

مراحل الدولة السبئية: 25

تاريخ حصول السيل العرم 30

المبحث الثاني: وصف القرآن للحضارة السبئية من خلال سورة سبأ 31

وصف القرآن للحضارة السبئية من خلال سورة سبأ 34

المبحث الثالث: أسباب سقوط الحضارة السبئية 39

الجهل بالله عز وجل 40

جحود النعمة وكفر المنعم: 40

الإعراض عن أمر الله وتكذيب رسله: 40

الطغيان والظلم وإتباع الهوى والشهوات: 41

عبودية الشمس من دون الله وجحود وجود الله تعالى 41

الكبر والعناد وعدم الاستسلام لأمر الله 42

تصديق إبليس اللعين وتكذيب الله الإشراك به : 42

خاتمة 44

المصادر و المراجع 48